خطبة: انقلاب الموازين الأسباب والعلاج

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

خلق الله تعالى الكون بميزان العدل والحق،

قال تعالى :{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9 الرحمن )

والميزان هو العدل والحق الذي تنضبط به الحياة ،فإذا اختّل الميزان اختل نظام الحياة ،

وإنّ أخطر مايصيب البشرية ، ويتسبّب في الضلال والغواية ، ويدفع للظلم والطغيان هو إنقلاب الموازيين ، ولنتأمّل ماذكره القرانُ عن مآل من إنقلبت موازينهُم فضلّوا وأضلوا ، قال تعالى " الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"

وإنّ أخطرَ انقلابٍ للموازين -عباد الله - ماكان في العقيدة والإيمان ، فيُرى الإيمانُ عندها ضلالة ، والشركُ هدايةً ، والإصلاحُ غواية ،،عندها لاتجد الهدايةُ للقلوب مسلكا ، ولايجد الايمان لها طريقا ، قال تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51النساء) وقال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168النساء)

وتدبّروا كيف أراد رمزُ الطغيان البشري، فرعون ، أن يضلّل قومَه ويَقلِبَ الحقائقَ والموازينَ للملأ حوله :

" وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26غافر)

فقال تعالى عنهم :

" فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54 الزخرف)

معاشر المؤمنين

ومن مظاهرِ اختلالِ الموازيين في العالم

اليوم ، مانراه من الدعوة لإباحةِ الشذوذ وتزيين الإباحية وشرعنةِ الالحاد ، بدعوى الحرية الشخصية ، ومسايرة السياسات الأممية ، وهم بهذة الدعوى كقوم لوط حين إستنكروا على لوطٍ عليه السلام إنكاره عليهم الفاحشة ، فقالوا ، كما حكى لنا القران الكريم ، " ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56النمل) فأصبحت الطهارة والعفة لديهم رجعية وتزمتاً ، كما هي اليوم لدى الغرب وأتباعهم .

وكما حكيَ القران عن أهل النفاق " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (12)(البقرة)

ومن مظاهرِ اختلالِ الموازين لدى بعضَ المسلمين : الاختلالُ في فقه الدين وفهم أحكامه ومقاصده وأولوياته ، وعدم فهمه بشموله وكماله ، كمن يقول لاعلاقة للدين بواقع الحياة وتنظيم شؤون الأمة وقضاياها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، او ذاك الذي يغالي ويتطرّف في فهم الدين ، او غيره الذي يُفرِّطُ ويتسيّب في التزام احكام الشرع وحدوده ،،

او ذاك الذي يتلبّس بلبوس العلم والدعوة ثم هو سيفٌ مسلطٌ على أهلِ الدعوة والايمان ولسانٌ رحيم على أهل الضلال والكفران ،

ومنهم ذاك الذي يفهم الدين عباداتٍ فردية لنيل الثواب فقط ، أما حقوقَ الناس وأعراضهم وذممهم فلا يلتفت لها، ،، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ( أتَدرونَ ما المُفلِسُ؟ إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ) [ صحيح الجامع].

معاشر المؤمنين

ومن مظاهر انقلابِ الموازينِ ، التخبّطُ في الحكمِ على الناس ، بالتعجّل والحكمِ بالظاهر وبالإشاعات وعدمِ التثبت ،

او بسوءِ الظن وغلبةِ الأحقاد والضغائن على موازين الحق والعدالة

وقد يتسبّبَ ذلك في وسدِ الأمر لغير أهله ، ووصفِ البعض بغير مايستحق من أوصاف التزكية والشهادة ، قال رجل لعمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-: إنّ فلانًا رجلُ صدق، قال: سافرت معه؟ قال لا، قال: فكانت بينك وبينه خصومة؟ قال لا، قال: فهل ائتمنته على شيء؟ قال لا، قال: فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد!.

وفي الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: “سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدق فيها الكاذب، ويُكذب فيهاالصادق، ويُخوّن فيها الأمين، ويُؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة

وفقنا الله للبّر والتقوى والعمل الذي يرضى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

كيف ينالُ المرءُ الموازينَ الصحيحة وينجو من إختلالها لديه ،

نقول وبالله التوفيق : إنما ينالها بتدبِّر كتاب الله ، والإهتداءِ بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى "أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم " (14محمد )

وقال صلى الله عليه وسلم “تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا ، كتابَ اللهِ ، و سُنَّةَ نبيِّه ” صححه الألباني

ولايكون ذلك الا بالعلم النافع يتلقاه المرءُ

من العلماء العاملين ،و من أهل الإختصاص والعلم ،، قال تعالى " فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43 النحل)

كما ينالُ المرءُ صوابَ الموازين بتحرّي الحقائق ، والتّثبتِ منها وعدمِ الإنخداع بما يُثار ، لاسيما في ظل وسائل التواصل الحديثة التي يكثر فيها الغث والدعاوى الكاذبة ،قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94النساء)

تلكم هي عباد الله وسائل تحقيق العدل في وزن الأمور ومعرفة الحقيقة والحق ، وصدق الله تعالى إذ يقول " أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (22 الملك)